المحاضرة السابعة: التعليم العربي الحرّ بالجزائر خلال الفترة الإستعمارية

شمل التعليم العربي الحرّ بالجزائر نشاط المساجد والزوايا والمعاهد التي كانت تنشط منذ فترات سابقة للإحتلال؛ واستمرت خلال الفترة الإستعمارية في أداء رسالتها بشكل عام ومتفاوت من طرف الأئمة وشيوخ الزوايا وجمعية العلماء المسلمين .

أولا-التعليم المسجدي: يعتبر التعليم المسجدي من الطرق التقليدية التي عرفتها الجزائر منذ الفتح الإسلامي، بإلقاء الدروس في المساجد وتنظيم حلقات العلم، وإلى جانبها نجد **الكُتاب (الكتاتيب) والتي تُعدّ بمثابة التعليم الإبتدائي لتعليم** الصبيان القراءة و مبادئ العلوم الدينية في المدن والأرياف، وحسب التقديرات فإنّ عدد الكتاتيب خلال الفترة الإستعمارية قارب عشرة آلاف كتاب.

كما اهتمت جمعية العلماء المسلمين بالتعليم المسجدي؛ حيث نشط الشيخ عبد الحميد بن باديس بالتدريس بالجامع الأخضر بقسنطينة؛ وعرفت المساجد بالمدن الكبرى على غرار قسنطينة ووهران والعاصمة وتلمسان تدريس العلوم النقلية مثل تفسير القرءان الكريم، وعلم الحديث والفقه، والعقائد الدينية والأدب والأخلاق، والعلوم العقلية مثل التاريخ والجغرافيا والمنطق والحساب...

ثانيا- التعليم المدرسي(المدارس الحرة): أسست الجمعية مدارس حرة في المدن، وبدعم من الشعب تأسيسا وتمويلا، وكان الشيخ عبد الحميد ابن باديس قد اهتم بالتعليم الحر **بالمسجد الأخضر بقسنطينة**، الذي تطور إلى مدرسة التربية والتعليم التي مثلت نموذجا للمدرسة الحديثة عند جمعية العلماء المسلمين، ومن أبرز المدارس نذكر:

- الجمعية الإصلاحية بوهران: التي أنشأها سنة 1934 الأستاذ **محمد السعيد الزاهري** الكاتب العام لجمعية العلماء الجزائرية بعد استقراره بوهران سنة 1928، وتدعيم نشاط المدارس الحرة بتعليم العربية بين الجزائريين.

-مدرسة دار الحديث بتلمسان : التي تأسست في 27 سبتمبر 1937 من طرف جمعية العلماء الجزائريين، تحت إشراف **البشير الإبراهيمي** الذي كان يدرس بها التفسير؛ إضافة إلى معلمين آخرين، ووضعت برنامج خاصا بالأحرار إلى جانب برنامج خاص بالإناث، حيث كانت تقام بها دروس في علوم القرءان الكريم وعلوم الحديث، ومحاضرات دينية متنوعة، وتوفرت على مكتبة تتضمن كتب متنوعة، غير أنّها أغلقت سنة 1938 من طرف السلطات الإستعمارية لكن أعيد فتحها بعد الإحتجاج وبمساعدة من النواب،

-مدرسة التربية و التعليم ببني صاف التي تأسست في 1938 واستقبلت المعلمين لمدة سنة وباندلاع الحرب العالمية الثانية توقفت مؤقتا. وكان يُدرّس بها شيوخ وعلماء وأئمة ومعلمين يتمّ اختيارهم من خريجي جامع الزيتونة بتونس أو القرويين بفاس أو الأزهر بمصر، إضافة إلى **التكوين التأهيلي للمعلمين** من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر.

واستطاعت هذه المدارس رغم بساطتها الحفاظ على اللغة العربية، وتعزيز الإنتماء الوطني والإسلامي، وبعث الثقافة الوطنية والإعتراف بالشخصية العربية الإسلامية، مع التشجيع على الأعمال الإجتماعية والدينية والثقافية، لتجسيد التضامن الإجتماعي والتكاثف للحفاظ على المقومات الثقافية للأمة، كما واجهت المدارس الحرة صعوبات نتيجة التعسف الإستعماري وتشديد الرقابة على نشاطها وفق مرسوم 13 جانفي 1938 القاضي بتشديد المراقبة على الجمعيات والنوادي، مما أدّى إلى اضطراب التعليم الحرّ لفترة استمرت حتى

بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنهّ غالبا ما تفتح هذه المدارس والكتاتيب دون الرجوع إلى السلطات الفرنسية، وبناءا على إحصائيات سنة 1947 فقد كانت الجمعية تشرف على 90 مدرسة تُكوّن عشرين ألف تلميذ، ويشرف معهد ابن باديس على 700 تلميذ يتكونون للالتحاق بجامع الزيتونة.

ثالثا-التعليم العالي والبعثات الطلابية: بالنسبة للتعليم العالي الحر فقد اقتصر على نشاط معهد عبد الحميد ابن باديس بقسنطينة الذي أنشأ سنة 1947 واستقطب عديد الطلاب وتولى الإشراف عليه الشيخ العربي التبسي حيث كانت تقام حلقات الدروس لطلاب المعهد، وأصبح المعهد يشكل فرعا من فروع الزيتونة من حيث التنظيم والإشراف على الإمتحانات، كما كان لطلبة معهد ابن باديس والمعهد الكتاني الحق في الإلتحاق بجامع الزيتونة لاستكمال مسارهم الدراسي، ضمن بعثات طلابية، وشكل الطلبة الجزائريون الزيتونيون تنظيما خاصا تابعا للجمعية يتلقى توجيهات وزيارات من أعضاء الجمعية، وبعد تخرّجهم يجدون مكانهم ضمن مدارس الجمعية، إضافة إلى بعثات طلابية للقرويين بفاس، وبعثات أخرى إلى معاهد الشرق العربي والإسلامي مثل طلبة الأزهر بمصر.

رابعا-إهتمام الجمعية بتعليم المغتربين الجزائريين:

اعتنت الجمعية بالمغتربين عن طريق الأنشطة الثقافية والإصلاحية المبرمجة، بداية من سنة 1936 على يد **الفضيل الورتلاني** فأنشأت مدارس ونوادي لتعليم أبناء العمال الجزائريين والعاطلين القراءة والكتابة باللغتين وتعليم القرءان،إضافة إلى بعض العلوم مثل: الأدب والتاريخ والجغرافيا، وكانت هذه النوادي مفتوحة لكل المسلمين وخاصة الشمال الإفريقي، وبلغ عدد المدراس30 مدرسة وناديا لنشر التعليم والتوعية وتدريس القرءان، غير أنّ السلطات الاستعمارية قامت بغلق النوادي وبعض المدارس سنة 1947 مما أدى إلى تراجع نشاط الجمعية حتى بداية الخمسينيات أين قام البشير الإبراهيمي في مسار رحلته إلى المشرق سنة 1952 بزيارة باريس والتقى ببعض أفراد الجالية الجزائرية الذين كانوا على استعداد من أجل دعم نشاط الجمعية وتعلم اللغة العربية والعلوم الدينية.

هذا النشاط التعليمي ساهم في محاربة الجهل، وتكوين عدد كبير من الطلاب ساهموا في مواجهة السياسة الإستعمارية ومخططاتها الثقافية، وتأطير نخبة كان لها دور فيما الثورة التحريرية الكبرى والمحافظة على الشخصية الجزائرية ومكوناتها.